

واقع التكوين النفسي التربوي بالمدارس العليا للأساتذة:

قراءة تحليلية

علي فارس

أستاذ بقسم علوم التربية، المدرسة العليا للأساتذة، القبة

ali.fares@g.ens-kouba.dz

مقدمة

راهننت وزارة التربية الوطنية على دور المدارس العليا للأساتذة في تكوين الأساتذة في جميع الأطوار والمراحل والتخصصات، بعد إلغاء الاعتماد على أسلوب التكوين بالمعاهد التكنولوجية للتربية. إلا أن هذا التكوين، لم يرتق إلى تطلعاتها. وهذا ما أجبرها على إعادة النظر في البرامج التكوينية بالمدارس العليا للأساتذة، وخاصة ما تعلق الأمر بمواد التكوين النفسي التربوي، من خلال إلزام المدارس العليا للأساتذة بدفتر شروط يتضمن الإطار المرجعي للكفاءات المهنية للأساتذة.

لكن، ورغم كل هذه الجهود، فإن التكوين النفسي التربوي مازال لم يأخذ مكانته في هذه المدارس، نظراً لعدة اعتبارات، مما كوّن اتجاهات متضاربة، منها ما قد تكون إيجابية، ومنها ما قد تكون سلبية. ونظراً لأهمية هذا الموضوع، جاء هذا المقال للكشف عن قيمة التكوين النفسي التربوي بالمدارس العليا للأساتذة من وجهة نظر وزارة التربية الوطنية، وهذا من خلال مقارنته مقارنة نقدية تحليلية لسبر أغواره، والكشف عن واقعه.

1. قيمة التكوين النفسي البيداغوجي بالمدارس العليا للأساتذة

إنّ الأستاذ الذي لا يملك تكويناً في المواد النفسية والتربوية والتعليمية، لا شك أن تكوينه سيكون ذا علة لأنه بذلك قد يتخذ ممارسات غير تعليمية أو غير مهنية، نظراً لاضطراب تكوينه. ونتيجة لذلك قد يسقط هذا الأستاذ في عدة مشكلات، منها ما يتعلق بالكفاءات والأهداف، ومنها ما يتعلق بطبيعة التدريس أو طبيعته التعلّم أو التقويم والمعالجة، إلخ.

لذلك فوزارة التربية الوطنية تُدرك تماماً أنّ الشق النفسي التربوي هو الذي يفتقده الكثير من الأساتذة. فلا يُمكن أن نكون أساتذة في مواد التخصص، ونُهمل الشق الآخر المكمل، الذي لا يقل أهمية عن الأول. لكن من خلال مراجعة برامج التكوين بالمدارس العليا للأساتذة يتضح أنّ التكوين النفسي البيداغوجي في خطر، بحيث أنه لم يأخذ نصيبه على أكمل وجه رغم إلحاح وزارة التربية الوطنية على جودة التكوين في هذا الجانب.

ففي السنة الأولى، يدرس الطالب الأستاذ وحدة مدخل إلى علوم التربية التي من خلالها يُمكنه أخذ فكرة شاملة حول مهنة التدريس حيث يدرس الطالب: تاريخ التربية، فلسفة التربية، إبستمولوجية التربية، سيكولوجية التربية، سوسولوجية التربية، اقتصاديات التربية، أنثروبولوجية التربية، تكنولوجيا التربية، التربية المقارنة، إحصائيات التربية، فيزيولوجية التربية، وغيرها من فروع علوم التربية، باعتبارها مجموعة من الحقول المعرفية وليس علماً واحداً، كما يعتقد البعض.

وفي السنة الثانية، يدرس وحدة علم النفس النمو: الطفل والمراهق، تمكن الطالب من فهم خصائص وحاجات ومشكلات كل مرحلة نمائية: المرحلة الجنينية، مرحلة الرضاعة، مرحلة الطفولة، مرحلة المراهقة، إلخ.

وبذلك يلمّ بطرق التعامل مع كل مرحلة. وفي السنة الثالثة يدرس وحدة علم النفس التربوي حيث يتناول فيها كل ما يتعلق بسيكولوجية التعلّم ونظرياته، وسيكولوجية الدافعية، وسيكولوجية الفروق الفردية والعمليات المعرفية، والإدارة الصفية، وطرق التكفل ومعالجة المشكلات الصفية. بينما تتم في السنة الرابعة دراسة المناهج التعليمية والتقويم التربوي التي من خلالها يتحكم الطالب الأستاذ في أدوات التدريس، وخاصة آليات التنفيذ الأمثل للمناهج الرسمية.

لكن المغالطات الموجودة في الساحة تزعم أن علوم التربية وعلوم النفس لا ترقى لمصاف العلوم الصرفة، كعلوم الطبيعة والحياة والعلوم الفيزيائية والكيميائية والرياضياتية والإعلام الآلي، وهي بذلك تُعدّ مجرد فلسفة أو سفسطة عقيمة لا طائل منها. وهذا للأسف، تسويق مباشر أو غير مباشر لتحطيم الأهداف التي من أجلها وُجدت المدارس العليا للأساتذة. فلو كانت هذه المدارس تُدرّس العلوم فقط، دون العلوم التربوية والنفسية لكانت نسخة من الجامعة. وهذا خطأ، بل مغالطة يجب الإسراع إلى حسمها، ومنع كل التجاوزات التي قد تعصف بالحياة المدرسية داخل هذه المدارس.

وحتى نبرهن على قيمة التكوين النفسي التربوي بالمدارس العليا للأساتذة نقدّم الحجج الآتية:

1.1. دفترشروط وزارة التربية الوطنية (2020-2021)

ازدادت أهمية المدارس العليا للأساتذة بعد إلغاء المعاهد التكنولوجية للتربية التي كانت تقدّم الكثير للمدرسة الجزائرية. ولكن نية السلطات المعنية في الانتقال من المعاهد التكنولوجية للتربية إلى المدارس العليا للأساتذة كان أمراً اختيارياً وليس إجبارياً، نظراً لعدة أسباب وعوامل. ولكن هذا لا يمنع من كون المدارس العليا للأساتذة هي الأخرى تقدّم خدمات تكوينية لا ينكرها إلا جاحد، وهي الآن مطالبة أكثر من أي وقت مضى بإعادة النظر في برامجها لتواكب خارطة طريق وزارة التربية الوطنية.

لذلك عملت وزارة التربية الوطنية على إعداد دفتر شروط جديد عام 2020-2021، تُحدّد فيه الكفاءات المهنية للأساتذة في إطار مرجعي يتضمن ثلاثة ميادين أساسية. وتدخل ضمن هذه الميادين الثلاثة 10 كفاءات مهنية فرعية، هي:

- أ. ميدان المعرفة المهنية: ويشمل نقطتين أساسيتين، هما:
 - معرفة مادة التخصص؛
 - معرفة الفروق الفردية.
- ب. الممارسة المهنية: وتشمل ثلاث نقاط أساسية، هي:
 - التخطيط؛
 - التنفيذ؛
 - التقويم.
- ج. المشاركة المهنية: ويشمل ثلاث نقاط أساسية:
 - التعلّم المهني؛
 - التحفيز وإشراك المتعلمين؛
 - الاتصال والتواصل.

الكفاءات المهنية للأساتذة وفق تصور وزارة التربية الوطنية

| الرقم | الكفاءات المهنية للأساتذة |
|-------|---|
| 01 | <p>يتصرف بصفة موظف للدولة في إطار أخلاقيات المهنة والتشريعات السارية.</p> <p>- يحترم القيم الوطنية والعالمية، والمبادئ الأخلاقية، والثوابت الوطنية، (السيادة الوطنية): الوحدة الترابية، العلم الوطني، النشيد الوطني، الإسلام، العربية، الأمازيغية، الإقليم الجغرافي.</p> <p>- قيم الجمهورية، ونصوصها التأسيسية: تكافؤ الفرص، إجبارية التعليم، رفض كل أشكال التمييز العنصري، المساواة بين الرجل والمرأة).</p> <p>- يتعرف على المبادئ الكبرى في مجال الحقوق في الوظيفة العمومية، والتشريع المدرسي، والقوانين والقانون التوجيهي للتربية الوطنية (جانفي 2008)، والنصوص التنظيمية التي تنظم مهنة التدريس.</p> |
| 02 | <p>يتحكم في المادة التي يُدرّسها، ويسعى لاكتساب ثقافة عامة جيدة.</p> <p>- التحكم الجيد في محتوى المادة المُدرّس، والمنهاج ومعايير تحقيقه.</p> <p>- التعرف على المفاهيم المهيكلية للمادة.</p> <p>- توظيف الأساليب حسب الحقل المعرفي (المادة المدرسة)</p> <p>- التحكم في تعليمية المادة ...</p> <p>- البحث في إطار المادة المدرسة في إطار التخطيط البيداغوجي.</p> <p>- استعمال مختلف الموارد والوسائل والاستراتيجيات قصد التطوير المهني لتحقيق نجاح المتعلمين.</p> <p>- تطوير الكفاءات لتحسين التعليمات باستخدام تكنولوجيات جديدة ومقاربات مبتكرة أو جديدة.</p> |
| 03 | <p>يُصمم، ويُنظّم ويقود ويُدير وضعيات التعلّم.</p> <p>- التخطيط الجيد للدروس وتنظيمها على نحو فعال من خلال تحديد الأهداف، ووتيرة الدرس ...</p> <p>- انتقاء وتفسير المعارف التخصصية من أجل التخطيط الجيد للدرس في الوقت المحدد.</p> <p>- يقيم روابط بين المحتويات ومجموعة المعارف والكفاءات ...</p> <p>- تحقيق الفرص المناسبة للتعلّم مع مراعاة اهتمامات المتعلمين والفروق الفردية لتلبية مختلف حاجاتهم.</p> <p>- الأخذ في الاعتبار التصورات، الحاجات، الاهتمامات المشتركة بين التلاميذ عند بناء وضعيات التعلّم.</p> <p>- اختيار المسعى البيداغوجي أو التعليمي (المقاربة بالكفاءات).</p> <p>- استعمال وسائل التقويم المناسبة لتقويم معارف ومواقف المتعلمين ...</p> |
| 04 | <p>يُقوّم مدى تقدم التعلّمات ودرجة اكتساب التلاميذ للمعارف والكفاءات.</p> <p>- التعرف على مختلف التقويمات (التشخيصي، التكويني، التجميحي، الإشهادي ...).</p> <p>- التعرف على الفترات المناسبة والوقت الضروري لإجراء التقويمات.</p> <p>- التعرف على تقنيات التقويم التي ينبغي استخدامها وفق أنماط التقويم.</p> <p>- تقويم تدرج تعلّمات التلاميذ بطريقة بنائية وتكوينية.</p> <p>- بناء أو تصميم وتوظيف الأدوات التي تسمح بالحكم على مدى تقدم التلاميذ وقياس مكتسباتهم المتعلقة بالمعارف بالكفاءات.</p> <p>- تحليل مواطن القوة والضعف وتصور ووضع أنشطة المعالجة البيداغوجية ...</p> <p>- تمكين كل متعلم بالنظرة الايجابية لذاته ولغيره.</p> <p>- السهر على أن يكون تلميذا واعيا بتقدماته ومجهوداته.</p> |

| | |
|----|---|
| 05 | يتواصل بشكل واضح ومناسب في مختلف السياقات المتعلقة بمهنة التدريس. - احترام قواعد لغة التدريس نطقاً وكتابةً خلال التبادلات مع التلاميذ ومختلف شركاء المؤسسة التعليمية. - استخدام اللفظة المناسبة خلال التدخلات بين التلاميذ والأقران وأولياء التلاميذ. |
| 06 | يُتقن أسس علم النفس التربوي وعلم النفس الطفل والمراهق. يجدر بالأستاذ أن يتحكم في أسس علم النفس لأنه يساهم في تحسين عمليتي التعليم والتعلم داخل القسم، كما تساهم مبادؤه في فهم آليات السلوك عند الطفل والتفاعلات الاجتماعية، والدافعية وعملية التواصل، كما تسمح مبادئ علم النفس معرفة آثار المثيرات البيئية على عمليتي التعليم والتقويم وعلى الاختيار الأمثل لأدوات التقويم والقياس. |
| 07 | يأخذ في الاعتبار اختلاف التلاميذ (الفروق الفردية) لتقديم المساعدة والمرافقة والمعالجة والدعم والاستدراك. ينبغي على الأستاذ التأكد من أن لكل تلميذ الدعم الذي يحتاجه للتقدم في تحصيله الدراسي. - يُمكن للأستاذ استخدام البيانات الخاصة بكل تلميذ بطريقة فعالة وهذا لعقلنة التعليم وضمان تعلم أفضل. - إن التغذية الراجعة التي يجريها المعلم ضرورية لتوجيه التلميذ ودعم تعلمهم ومساعدتهم على التركيز على ما ينبغي عليهم إنجازه لتحقيق المزيد من النجاح. |
| 08 | يُدمج ويتحكم في تكنولوجيات الإعلام والاتصال ويستعملها في نشاطات التدريس والتعلم، مع تسيير التدريس لتحقيق التطوير المهني. |
| 09 | يعمل على إنجاز المهام التي تعزز التطوير المهني والعمل كفريق في إطار مشروع المؤسسة بالتعاون مع أولياء الأمور وشركاء المدرسة. - المساهمة في اختيار مشروع المؤسسة. - التنسيق مع شركاء المدرسة من أجل التشاور في حدود المسؤوليات المخولة لكل موظف. - تشجيع مبادرة الأولياء للإسهام في الحياة المدرسية بإجراء لقاءات للتبادل. |
| 10 | ينخرط في خطة فردية أو جماعية قصد التطوير المهني. - إجراء عملية جرد وحوصلة لمجمل الكفاءات الذاتية وإنجاز وسائل لتطويرها، وهذا باستخدام الموارد المتوفرة. - تنجز خطة التطوير المهني عن طريق عملية جرد المعارف والكفاءات التي تمّ التحكم فيها من أجل تطويرها. - طريق إثارة النقاش مع الزملاء بخصوص التوجهات التي يرغبون في تحقيقها. - هذه التبادلات والتشاورات تسمح بتوسيع التفكير والتأمل في الممارسات اليومية. |

2.1. التكوين التحضيري الإلزامي لخريجي الجامعات

إنّ التكوين التحضيري الإلزامي للأساتذة الناجحين في مسابقات التوظيف المباشر، لا يشمل المواد العلمية التخصصية، على اعتبار أنّ خريج الجامعة يمتلك المعرفة التخصصية التي تؤهله لمزاولة مهنة التدريس. فهو بذلك يمتلك شهادة ليسانس أو ماستر في التخصص سواء في الرياضيات أو الفيزياء أو الكيمياء أو علوم الطبيعة والحياة أو الفلسفة أو اللغة العربية أو التاريخ والجغرافيا أو اللغات الأجنبية أو الإعلام الآلي، إلخ. بل يشتمل على كل من: علوم التربية وعلم النفس، التعليمية وطرائق التدريس، المناهج التعليمية، التقويم والمعالجة البيداغوجية، هندسة التكوين، الوساطة المدرسية، النظام التربوي، التشريع المدرسي، أخلاقيات المهنة، التشريع المدرسي. ولولا قيمة هذه المواد التربوية في تهذيب الأداء المهني وتحسينه لما برمجت أصلاً لأنّ وزارة التربية الوطنية تدرك تماماً أنّ ضعف الأساتذة لا يكمن في الجانب العلمي التخصصي الأكاديمي، بل في التكوين النفسي والبيداغوجي والتعليمي. وهذا ما يؤكد على فرضيتنا التي تفيد أنّ العلوم التربوية والنفسية هي العمود الفقري لتكوين الأساتذة.

وبمفهوم المخالفة لا يحق لأحد أن يطلق الأباطيل أو أن يتحدث من فراغ أو في فراغ ليطمس الحقيقة، وهي أنّ التعليم ليس معارف علمية فحسب، بل معارف نفسية تربوية بيداغوجية تعليمية. وفي هذا السياق، يُشير عبد الحق زواوي (2019) إلى اضطراب التكوين النفسي التربوي للأساتذة سواء بالنسبة لخريجي الجامعات أو المدارس العليا للأساتذة.

3.1. مسابقات الترقية

إنّ نجاح الأستاذ المكوّن في مسابقة التفتيش، ليُصبح مفتشاً أو بالمعنى الأدق، مرافقاً بيداغوجياً للأساتذة، حسب كل طور أو مرحلة، وتكوينه التحضيري لا علاقة تربطه بالجانب العلمي التخصصي لأنّ هذه تُعدّ بديهية من البديهيات أو مسلمة من المسلمات التي لا يختلف عليها اثنان. بل يُمتحن ويتكوّن في الكثير من المواد هي: علوم التربية وعلم النفس، التعليمية، تعليمية المادة، هندسة التكوين، النظام التربوي الجزائري، إلخ. وهذا ما يؤكد تماماً على قيمة المواد التربوية التي أصبحنا ننظر إليها نظرة ازدراء واحتقار واستصغار مقارنة بالعلوم الأخرى.

3. واقع التكوين النفسي التربوي بالمدارس العليا للأساتذة

إنّ المدارس العليا للأساتذة اليوم مطالبة بالانفتاح على محيطها وألا تبقى حبيسة جدرانها، منغلقة على نفسها. وهذا لن يتم إلا من خلال تكاتف جهود الأسرة الجامعية: إدارة، وأساتذة، وطلبة، وعمالاً. وخاصة الأساتذة الذين ينبغي أن يقفوا وقفة رجل واحد من أجل تحقيق هدف واحد نبيل، وهو تكوين نوعي احترافي، لا مجال فيه للمساومات أو المناوشات بين من يدرس العلوم الصرفة، ومن يدرس العلوم النفسية والتربوية والتعليمية، ومن هو على حق؟ إذ لا توجد مفاضلة بين العلوم، فكلها تعمل مجتمعة لخدمة الطالب الذي سيصبح يوماً ما أستاذاً.

وبالعودة إلى ملمح تكوين الطالب، ندرك تماماً أنّ تكوين الطالب بالمدارس العليا للأساتذة يكون في شقين هما:

- الأول: تخصصي علمي أكاديمي، يتعلق بمادة التخصص، سواء الرياضيات أو العلوم الطبيعية أو الفيزياء أو الكيمياء أو الإعلام الآلي أو اللغة العربية أو الفلسفة أو التاريخ والجغرافيا أو اللغات الأجنبية.
- الثاني: نفسي تربوي مكمل للشق الأول. وقد أولته وزارة التربية الوطنية كل اهتمامها في دفتر الشروط الأخير الذي ألزمت المدارس العليا للأساتذة على التقيّد به لتحقيق منتج نوعي يمتلك مجمل الكفاءات المهنية التي تصبو إليها.

لذلك فلا يمكن أن ننكر قيمة الشق الثاني، لأنه يعمل على تهذيب السلوك المهني للأستاذ. من أجل ذلك تعقد وزارة التربية الوطنية آمالها على التكوين المكمل الذي ينظر إليه الكثير بنظرة سلبية قاتمة. والحقيقة المرة أنه لا بد أن نضع أصبعنا على الجرح، وندرك أنّ التكوين النفسي التربوي لا يسير كما تراهن عليه وزارة التربية الوطنية: عندما نرى أنّ علم النفس على سبيل المثال، يُدرّس بالإملاء أو بطريقة الحشو والتلقين فهنا علينا أن نقف وقفة. وهي أننا بذلك نظلم طلبتنا الذين سيصبحون أساتذة يوماً ما، وكذلك إنّ الملاحظ لسيرورة الأعمال الموجهة في علم النفس النمو: الطفل والمراهق أو علم النفس التربوي، فإننا لا نزال نشاهد الطالب يحمل ورقته ويقرؤها أمام زملائه، وأستاذه، وكأنّ هذا الأمر عادي وطبيعي. مع عدم محاسبة الطالب الأستاذ والتساهل معه في بعض الحالات، وخاصة عندما يقدم بحثاً أنجزه في ليلة العرض، دون الاستناد إلى مراجع علمية، بل الاكتفاء فقط بالاطلاع على مواقع الأنترنت التي قد تتضمن معلومات أو معارف خاطئة.

لذلك علينا أن نراجع أنفسنا، ونقيّم أسلوبنا أو طريقتنا أو منهجيتنا في تدريس هذه العلوم التي لا تقل أهمية عن مواد التخصص. بل إن وزارة التربية الوطنية تضع فيها آمالها وتطلعاتها في تكوين أستاذ على قدر من المهنية

والاحترافية، بعيداً عن الذاتية. وهذا ما يتطلب بحثاً ميدانياً قد يؤدي أو ينفي طرحنا أو قراءتنا التحليلية لواقع تدريس مواد علم النفس وعلوم التربية بالمدارس العليا للأساتذة.

خاتمة

إنّ ملف تكوين الأساتذة يُعدُّ النقطة السوداء في تاريخ وزارة التربية الوطنية منذ الاستقلال إلى يومنا هذا. ومع ذلك، لم تبق الوزارة واقفة تتفرج، بل حاولت أن تسخر الإمكانيات المادية والبشرية من أجل تحقيق هذا التحدي من خلال إدراكها أنّ الرهان الحقيقي في جودة التكوين يكمن في دور المدارس العليا للأساتذة. ولكن معطيات الميدان التربوي تُفيد أنّ واقع التكوين النفسي التربوي في هذه المدارس تعترضه الكثير من المتغيرات منها: ضعف التأطير، غياب تكوين المكونين، وهشاشة البرامج التكوينية، خصائص المكونين، وذلك في ظل تهميش دور المدارس العليا للأساتذة. لقد أنتج هذا الوضع منظومة تكوينية هشة، أفرزت لنا في كثير من الأحيان أساتذة غير أكفاء. يُمكننا الخروج ببعض الاقتراحات الهادفة، وذلك من خلال التأكيد على النقاط التالية:

- إعادة النظر في المنظومة التكوينية بالمدارس العليا للأساتذة، وذلك من خلال تكوين المكونين بالدرجة الأولى، وإعادة عميقة للبرامج التكوينية، والحجم الساعي للتكوين، وأساليب التكوين، والتركيز على المواد التربوية ذات العلاقة بميدان التعليم، مع تكثيف التريصات الميدانية. والأهم من كل ذلك، إعادة النظر في معاملات المواد النفسية التربوية، وفي توقيت برمجتها، مع انتقاء الأستاذ المكوّن المناسب لكل مادة.
- إعادة النظر في السياسة التكوينية من خلال توظيف مكونين أكفاء في ميدان علم النفس وعلوم التربية والمناهج والتعليمية يتميزون بالكفاءات المهنية.
- بعث الحياة التكوينية من خلال القيام بالندوات التكوينية والأيام الدراسية والملتقيات الوطنية والمؤتمرات الدولية، التي تعمل على تكريس الجودة في التعليم من خلال البحث في واقع التكوين ومشكلاته، وتقديم حلول إجرائية تسمح بدفع عجلة تقدم المدرسة الجزائرية.
- تعديل البرامج التكوينية بالمدارس العليا للأساتذة، وهذا من خلال اقتراح برامج جديدة، كهندسة التكوين، والوساطة المدرسية، والمرافقة المدرسية، والإرشاد المدرسي، وأخلاقيات المهنة، وتكوين المكونين.

بعض المراجع

1. زواوي، عبد الحق (2019)، دور التكوين النفسي البيداغوجي في تنمية الكفايات التدريس ومعالجة المشكلات الصفية لدى المراهق المتمدرس بمرحلة التعليم المتوسط، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر2، بوزريعة، الجزائر.
2. فارس، علي (2022)، المرجع الشامل في علم النفس التربوي: دليل المعلم في الإدارة الصفية وهندسة التدريس، ط1، دار الماهر للطباعة والنشر والتوزيع، العظمة، سطيف، الجزائر.
3. فارس، علي؛ حناش، فضيلة (2015)، اتجاهات الطالب المعلم بالمدرسة العليا للأساتذة نحو التكوين البيداغوجي في ضوء بعض المتغيرات-دراسة ميدانية بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة أنموذجاً، مجلة البحوث التربوية والتعليمية، مخبر تعليم، تكوين، تعليمية، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، ع (07).